بنو تميم فى سماء العروبة

— ١ —

(١) التعريف ببنى تميم . (٢) أثر البيئة فى اللهجات العربية . (٣) مما ابتكروه فى اللغة . (٤) من مظاهر اختلاف لهجتهم . (٥) أفكوهتان لغويتان.(٦) (ما وليس) بين بنى تميم والحجازيين.(٧)تمسك كل قبيلة بلهجتها

عبد العزيز مرزوع (الازهرى)
المدرس بالمدارس الثانوية

---

(١) التعريف ببنى تميم : كان قومى : بنو تميم — بين القبائل العربية — واسطة العقد ، ودرة التاج . وملء السمع والبصر والفؤاد . وطالما احلولى للتاريخ أن يشيد بذكرهم . وينوه بفضلهم . لما تركوه من خوالد روائع فى جاهليتهم وإسلامهم . وسلمهم وحربهم . ولما سجلوه من وفائهم وسخائهم . وشعرهم وخطبهم . وحكمهم وأمثالهم .

وحسبك أن منهم الملوك ، والوزراء ، والمستشارين فى ظلال الرفادة ، والحكماء والحكام والقادة الذادة ، وأن من أعلامهم (قيس بن عاصم) سيد أهل الوبر ، و(والأحنف بن قيس) أحلم البدو والحضر و(خالد بن صفوان) أبلغ من خطب وكتب ، والراوية النسابة (أبا مزروع الكلبي) ، وملكى الشعر فى العصر الاسلامى (جرير والفرزدق) ، وأميرا الرجاز : (رؤبة) و (العجاج) ومنهم(الزبرقان بن بدر) . من كاد تقديسه فى الجاهلية يصل إلى درجة العبادة ، ومن كان فى فجر الاسلام شاعر وفد بنى تميم فى حضرة سيد الرسل ، وقد حدث أنه لما مثل بين يديه (ص) ليعلن إسلام قومه عز عليه إلا أن يبدأ إسلامه بالمفاخرة ، فرفع عقيرته بقصيدته التى مطلعها :

نحن الملوك . فلاحى يعادلنا منا الملوك . وفينا يؤخذ الربع

بل حسب قومى أنهم كانوا فى الجاهلية أمنع حصون العربية ، والمشرفين على الطواف والافاضة من مناسك الحج ، وأنهم استأثروا بالامامة ، والأحكام فى قضايا العرب بعد (عامر بن الظرب العدوانى) وأنهم ظلوا حقبة طويلة يلى الرجل منهم الموسم . ويلى غيره القضاء . ثم اتسع نفوذهم وتألق نجمهم فصار الزعيم منهم يجمع فى قبضته بين ولاية الموسم والقضاء جميعا من (أبى المزارعة[1] : سعد بن زيد مناة) إلى (سفيان بن مجاشع) وهى مدة تربى على مائتى سنة !! ثم انفرد عقد تلك السلسلة الذهبية بعد أن نهضت قريش نهضتها بزعامة (قصى) الجد الرابع لسيد الخلق فاقتصر (بنو تميم) على القضاء وحده دون ولاية الموسم[2] مدة ٢٠٠ سنة أخرى هى التى علا فيها شأن (قريش) فتناسى العرب فضل (بنى تميم) !!

أفليس من الوفاء للعرب والبر بقومى — بعد الاشادة بتلك الخوالد الروائع — أن نبين لأحفادهم لمعا من جهادهم للأخذ بناصر تلك اللغة الشريفة التى آن الأوان أن تنفض عنها غبار القرون ، وتساير النهضة العربية الحديثة واللغات الحية لتسترد مجدا غبر ، وعزا أدبر !! تلك هى الغاية من الكلمات التى سأنثرها هنا ، فعذرة سادتى لما ترون من هنات !

(٢) أثر البيئة فى اللهجات العربية :

اختلاف الناس ألسنة وألوانا وأشكالا بين منطقة وأخرى من منطقات الكرة الأرضية ، من الأمور التى لا يختلف فى بداهتها اثنان : فأهل السودان غير أهل فرنسا ، وهما غير أهل الصين واليابان ، وهم غير أهل القطبين ، ولا يهمنا بعدئذ أن نرجع سببه إلى البيئة ، أم الوراثة ، أم غيرهما .

---

(١) المزارعة أحفاد مزروع الاكبر وهو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ومن أحفاده بيوتات كثيرة الآن فى مصر وفى الحجاز ونجد — موطنهم الاصلى — ومضارب بنى تميم الآن فى العراق

(٢) ص ٤٣٨ من كتاب النقائض بين جرير والفرزدق

وأعجب من هذا أن أبناء الاقليم الواحد يختلفون فى هذه الأشياء : فالفرق بين سكان مصر العليا — جنوبا — ، وأسفل الأرض - الوجه البحرى - شمالا ، بل بين مديرية وأخرى ، بل بين أبناء المديرية الواحدة يؤيد هذه الحقيقة ، أتعجب أن نجد لهذه القاعدة سلطانها فى جزيرة العرب ، وأن نلق لكل قبيلة لهجة ، وأن نسمع عند البحث فى الكتب اللغوية عن (عجعجة قضاعة) و (شنشنة اليمن) و (طمطانية حمير) و (وكم كلب ووهمها) و (لخلخانية الشحر وعمان) و [قطعة طى] وهكذا بقية القبائل اليمانية .

وهل من غرابة أن نجد حكمها نافذا أيضا على القبائل العدنانية ، فنسمع عن [فحفحة هذيل] و [كشكشة أسد] أو ربيعة أو تميم و [استنطاء سعد بن بكر] و [تلتلة بهراء] ...

ليس من المنطق أن يشذ بنو تميم عن بنى جلدتهم أو يلقوا اشارة استقلالهم ورمز ابتكارهم ، فيندمجوا فى غيرهم كدأب القبائل الهزيلة !

إن الباحث فى أضابير اللغة العربية ليصفق إعجابا بنشاطهم فى هذا الميدان وإصرارهم على أن يكون لهم نصيب الأسد فى وضع لغتهم ، كما كانت لهم خوالد الآثار فى الحروب العربية .

ولا مرية فى أن الكثرة الكاثرة من مفردات اللغة كانت شائعة بين العرب جميعاً ، وأستطيع الحكم بأن نسبتها ٩٠ ٪ أما الباقى فهو المجال اللغوى الذى تسبح فيه اللهجات الخاصة !

والغالبية الغالبة مما تكلم به العرب فى جاهليتهم ، وما يكتب به مثقفوهم الآن من وضع [بنى تميم] و [بنى قيس] و بنى أسد] فأولئك هم الذين اعتمد عليهم علماء اللغة فى تسجيل الغريب ، وفى الأعراب ، وفى التصريف ... لا قريش التى يظن بعض الناس خطأ أن لهجتها من وضعها ، إذ كل ما كانت تفعله أن تختار [1] من ألفاظ القبائل ماسهل لفظه ، وخف وقعه ، فتدخله فى

(١) ص ١٢٧ حـ ١ من الزهر وما بعدها

هيكل لهجتها ، وتستعمله فى محادثة القبائل ، والحكم فى الأسواق ، وفى رحلاتها التجارية .

[٣] مما ابتكروه فى اللغة

ولأرجع الآن إلى مجال الاستقلال اللغوى ، وهو الذى خالف فيه العرب بنى تميم ، وبقى قومى متمسكين بالنطق به ، ثم اندمج فى صلب اللغة عند وضعها ، دون أن ينص على أنه من مبتكراتهم إلا أثارة من علم ، أو إشارة فى عبارة ، وكل ماخالف فيه بنو تميم غيرهم إنما هو من ارتجال فصحائهم لأن العربى إذا قويت فصاحته ، وسمت طبيعته تصرف وارتجل مالم يسبق إليه .

وآية ذلك أن [رؤبة] و [العجاج] — وهما من صميم المزارعة فى بنى تميم — كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ، ولا سبقا إليها ، ويؤيد هذا مارواه أبو حاتم :

(١) سألت [أم الهيثم] — وهى من عشيرة الأقربين — عن الحب : [أسفيوش] ما اسمه ؟

فقالت : أرنى منه حبات ، فلما رأتها فكرت لحظة ، ثم قالت : هذه البحدق ، فلم تلبث هذه الكلمة أن ذاعت ، وإذا كشفت فى القاموس المحيط تجده يقول :

البحدق كعصفر [بزر قطونا]

(٢) وفى الجمهرة : يقال « ابن أجلى » فى ابن جلا ، قال [العجاج] :

لاقوا به الحجاج والأصحارى به « ابن أجلى » وافق الأسطارا

قال [الأصمعى - وهو أعلم القوم بالشعر ، وأتقنهم للغة ، وأحضرهم حفظا :

« لم أسمع بابن أجلى إلا فى هذا البيت .

(٣) وفى الأمالى لأبى على القالى : الكثر : السقام قال [علقمة الفحل] — وهو تميمى —

كتر كحافة كتر القين مكنوم

وسمعه [الأصمعى] فقال أيضا : لم أسمع بالكتر إلا فى هذا البيت

هذا بعض ما ابتكروه فى اللغة ، أما ماشاركوا فيه غيرهم من الكلمات العربية ، ولكنهم اختلفوا معهم فى النطق به فكثير بعضه يرجع إلى الاختلاف فى الحركات ، أو فى الحركة والسكون أو فى إبدال الحروف . . . . وها كم نماذج منها ، تصيدتها من جملة مراجع لغوية قديمة وحديثة للشرقيين والمستشرقين ، وهى كثيرة يضيق الحصر عنها ، لهذا سأكتفى بما يأتى :

(٤) من مظاهر اختلاف لهجتهم :

[المظهر الأول] الابدال .

ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ومن أمثلته أن [بلعنبر] من بنى تميم كانوا يقيمون الصاد مقام السين إذا وقع بعدها حرف من أربعة فى كلمة واحدة ، وهذه الأحرف هى [الطاء والقاف والغين والخاء] سواء اتصلت السين بأحد هذه الأحرف أم انفصلت بحرف أو حرفين أو ثلاثة :

فعندهم [بصطة] فى بسطة ، و [صراط] فى سراط ، و [صيقل] فى سيقل ، وغير [بلعنبر] لا يقيدون بهذه الأحرف الأربعة .

[٥] أفكوهتان :

[١] ومما يستطرف لهذه المناسبة أن [النضر بن شميل (١)] التميمى مرض يوما ، فعاده لفيف من الأدباء ، فقال له واحد منهم يكنى [أبا صالح] : « مسح الله مابك » فقال النضر : لاتقل مسح بالسين ولكن قلها بالصاد ! فقال الرجل : « ان السين قد تبدل من الصاد كما يقال : الصراط والسراط ، وصقر وسقر ، فقال النضر : فاذا [أنت أبو سالح] ! ! فخجل الرجل لما تفيده كلمة [السالح] من معنى آخر ! !

(١) من (ترجمة النضر فى (وفيات الاعيان)

وكما يروى أيضا أن بعض الأدباء جوز فى حضرة [الوزير أبى الحسن ابن الفرات] أن تقام [السين] موضع [الصاد] - عكس لهجة بلعنبر - فى كل موضع ، فقال له : « كيف تقرأ قوله تعالى : « جنان عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم » ! فتوارى الرجل خجلا ، فراراً من المعنى الآخر ! !

[أثر بنى تميم فى البربرة] ومن مواضع الابدال أيضا عند قومى أنهم يجعلون الحاء هاء فى بعض المواضع فمن أنخاذهم من يقول [مدهته] فى مدحته ، فاذا سمعت البرابرة يقولون [مهمد] فى محمد فتأكد أنه أثر تميمى كعشرات الآثار التى سأضعها بين يديك فى لهجة المصريين شمالا وجنوبا .

[المظهر الثانى] من مظاهر اختلاف لهجتهم [القلب] أى قلب حرف علة بآخر كقولهم : « قليت السمك » فى قولته الحجازية ، وعليه جرى المصريون فهذا أثر ثان لبنى تميم ولكنه بين المصريين .

[المظهر الثالث] أنهم يراعون التصحيح فى اسم المفعول من [الثلاثى المعتل العين] فيقولون [مبيوع] فى مبيع و [مديون] فى مدين ، فالمصريون تميميون فى هذا أيضا لا حجازيون.

[المظهر الرابع] تسهيل الهمزة بجعلها حرفا من جنس حركة ماقبلها ، فهم يقولون [شوم ولوم] و [راس وفاس وفار] فى شؤم ولؤم ورأس وفأس وفأر فهذا أثر ثالث لهم فى مصر .

[المظهر الخامس] المغايرة فى الشكل فقط كقولهم [برئت] من المرض بكسر الراء ، والحجازيون يفتحونها ويقولون الشفع والوتر بكسر الواو والحجازيون يفتحونها ،

ويقولون : إننى [برىء] من سفساف الأمور وجمهرة العرب معهم ، والحجازيون يقولون : براء وقد قرىء بهما ولعل الكسر فى هذه الكلمات لمراعاة المعانى التى دلت عليها هذه الألفاظ. فالكسر فى برئت من المرض أسهل فى النطق لمن كتبت له السلامة فنجا من المرض ، والوتر كسر أوله لأنه عند الاطلاق

أضعف عددا من من الشفع والكسر يناسب الضعيف لا القوى، وبرىء من سفساف الأمور كنسبة برئت من المرض .

[المظهر السادس]الاختلاف بالزيادة أو النقص،فهم يقولون فى الزيادة .

[أحزنى] الأمر، و [اسأل] القرية و [الكراهية] من مظاهر الضعف النفسى ، وغيرهم يقولون حزنى ، وسل ، والكراهة ، والقياس يؤيد بنى تميم فى الأول ، لأن الألف فيه للتعدية والثلاثى لازم ، أما غيرهم ، فيجعل الثلاثى للازم والمتعدى معا ، وهو خلاف ماجرى عليه التنسيق اللغوى و [اسأل] أبلغ، وإن كان سل عندغيرهم أرشق، وزيادة الياء فى[الكراهية] يستدعيها المعنى الذى وضع له هذا اللفظ .

وأما فى النقص فيقولون : [عل] بدل لعل و [مذ] بدل منذ ، والنقص فى عل يدل على أنهم كانوا أباة ، وليس من شيمتهم أن يلحفوا فى الرجاء ، فخطف لفظه أنسب من إطالته .

[المظهر السابع] الاختلاف فى التذكير والتأنيث ، فقومى يقولون هذا تمر وملح وذهب والحجازيون : هذه تمر وملح وذهب ، ومن السهل تعليل التذكير لارادة النوع ، أما التأنيث فيحتاج إلى أعمال الفكر لتصيد علته

[٦] (ما) و (ليس) ولم اختلفت فيهما لهجة بنى تميم عن لهجة الحجازيين ؟

قبل أن أنساب فى تبيان هذين المظهرين الجديدين لمظاهر الخلاف وهما:

[المظهران الثامن والتاسع]أرجو من حضرات السادة القراء أن يرهفوا السمع لما سيأتى ليروا مرة أخرى أن لقومى ـ فيما نسميه الآن بالاعراب والبناء ـ رأيا سديدا ، وفكرا صائبا ، وتشريعا منطقيا فى وقت كان فيه فجر الحضارة يكافح فى حواشى السماء ، لينبثق نورا على الارض ، وفى حقبة كانت فيها مواكب الجهالة تعصف بالآراء والحرية كالريح العاتية العقيم،ماتذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم .

١ - « ما » الداخلة على الاسماء لها معسكران قويان فى جزيرة العرب (فالحجازيون) و (التهاميون) و بعض النجديين) يخرجون بها عن وظيفتها الفطرية كحرف من الحروف ، ويجعلون لهـــا سلطانا على ماسماه النحويون بعدذلك [خبرها] فيقولون إذا تحققت شروطهم [ماهن أمهاتهم] و (ماهذا بشرا) بنصب (أمهات) (وبشرا)

أما (بنو تميم) وبقية العرب ـ إلا من تقدموا ـ فيجعلون تأثيرها مقصورا على المعنى وإفادة النفى .

[رأيى] لهذا لايقولون إلا . [ماهن أمهاتهم] و [ما هذا بشر] برفع أمهات وبشر .

وتشريعهم منطق لأن الحروف أضعف أنواع الكلمة كما هو معروف ، ولأن إهمالها هو الاصل ، ولايصح أن نقيسها على حروف الجر أوالحروف النواسخ ففى ذلك مخالفة للأصل من جهة ، وقياس على النادر ، والنادر لايقاس عليه من جهة أخرى .

٢ — [ليس] وكما أهمل الحجازيون والتهاميون وبعض النجديين عمل [ما] إذا اختل شرط من شروطهم المعروفة فعل [بنو تميم] فى ليس عند انتقاض نفيها فهم يقولون كغيرهم : ليس الباطل [محبوبا] ، فاذا انتقض نفى خبرها أهملوها فقالوا : ليس الطيب إلا [المسك] برفع المسك

[رأيى] ورأيى أن نظرية بنى تميم أو لهجتهم منطقية ؛ لأن [ليس] لاتتصرف بحال ؛ لانها أشبه بالحروف ، ولا تدل على زمان شأن الأفعال وهذا مادعا [ابن السراج] و [الفارسى] وغيرهما إلى القول بحرفيتها وهذا النقص سلب عنها ما لبقية الأفعال الناسخة من امتياز ، أما الحجازيون فأعملوها مطلقا.

[٧] [تمسك كل قبيلة بلهجتها] وكلا الفريقين لايحيد عن لهجته شأن القبائل العربية التى تعتز بشخصيتها ولو انطبقت السماء على الأرض ، ويؤيد

هذا مارواه [أبو حاتم] قال قلت لأم الهيثم : كيف تقولين : أشد سوادا عاذا ؟ قالت من حلك الغراب ، قلت : أفتقولينها من [حنك] الغراب ؟ - بالنون قالت : لا . لا أقوم لها أبدا كذلك الأمر فى [ليس] وقد حكى اهمالها عند انتقاض نفيها [أبو عمرو بن العلاء التميمى] فبلغ ذلك [عيسى بن عمر الثقفى] فجاءه متعجبا قائلا : ماشىء بلغنى عنك ! أتقول : ليس الطيب إلا المسك ! ! فقال [ابن العلاء] تمت وأدلج الناس ليس فى الأرض حجازى إلا وهو ينصب ! ولاتميمى إلاوهو يرفع ، ثم قال : قم يا [بريدى] وانت يا [خلف] فاذهبا إلى [أبى المهدى] فلقناه الرفع فإنه لايرفع ، واذهبا إلى [أبى المنتجع التميمى] فلقناه النصب فإنه لاينصب ، فأتياهما ، فأبى كل منهما أن ينطق إلا بلهجته ، فرجع الشاهدان والثقفى لم يبرح مكانه عند (ابن العلاء) ، فعجب عيسى ، وأخرج خاتمه وقال لابن العلاء : لك هذا !! بهذا والله فقت الناس !!

عبد العزيز مشروع (الازهرى)
المدرس بالمدارس الثانوية

(ص ١٧٨ ج ٢ من المزهر ، ٢٢٧ ج ١ من المغنى)